

ولعبنا لعبة القطة والفار..



أعجبتني حالما رأيته. إنَّ هناك لحظات في العمر يشعر فيها الإنسان بأن صبره لم يكن جرياً وراء وهم وخيال، بل كان تمهيداً منطقياً للفوز بما كان يمني النفس به. إن هيفاء هي من كنت أريد، وقد عثرت عليها أخيراً ولم أترك للمزيد من الوقت أن يضع. لقد فاتحتها بإعجابي ورحت أستشف ردود فعلها. إنَّ من حق بنات الناس أن يتدلَّأن ويتمنعن وألاًَّ يتهاقن على العريس من أول طرفة با. تترك لها الوقت للتفكير والتروي والتعرف إليَّ، والسؤال عن أصلي وفصلي وأحوالي. وكنت خلال ذلك ألتقيها في محيط عائلي، أو مجموعة من الزملاء والزميلات، وأنجح في الانفراد بها لكي أتبادل وإيَّاهها تلك العبارات العذبة التي لا وجود بها خاطر إلا قبل الزواج. إنها تصغي إليَّ وتبتسم ولا تصدني، لكنها لا تبذل ريفي بجواب واضح ومحدد، وأعود من لقائي بها وأنا لا أعرف هل هي موافقة أم رافضة أم مازالت تفكر. أسأل صديقتنا المشتركة دليلة فتقول لي: "امنحها مزيداً من الوقت". وقد عملت بالنصيحة، وصبرت على الأسابيع وهي تمر، ودخلنا في الأشهر، وأنا مثل صارية مركب يلعب به الموج، أميل يمينا فتعدلني ابتسامتها، وأجح يساراً فتعيدني نظراتها إلى مكاني في الوسط. ما حكايتها؟؟ إنَّ هيفاء تلعب بي، أو في أحسن الأحوال تلعب معي لعبة القطة والفأر وتمد لي الحبل لمسافة قصيرة، حتى إذا مددتى كفِّي للتشبُّث به سحبته إلى ناحيتها وتركنتني أقبض على الريح. ودليلة حائرة بيننا، تتعاطف معي وتستمع

لشكواي وتنفهم ضيقي وتطالبني، مجدداً ، بأن أصبر. وقد استمعت لها مطوّلاً حتى باتت قريبة منّي وأليفة ودافئة وحنونة. إنها الفتاة التي ما كان يمكن أن تلفت انتباهي لولا أنها صديقة هيفاء ، الفتاة التي مال إليها القلب. آه من هذا القلب الذي لا يعرف الاستقرار ويبحث عن مرفأ آمناً. وأطنُ أنني قد عثرت عليه وسأرسو عنده وأبني حياتي المقبلة. أمّا لعبة القطة والفأر فلم تعد تناسبني. ومع هذا، أبقى مديناً لها بأنها دلّنتني على الشخص المفتقد.

وطار قبل أن أقبض عليه..

من دون لف ولا دوران، استوقفني هلال وألقى أمامي خطاباً المنمّق الذي يبدو أنه استعد له خير استعداد. قال إنه معجب بي، وقد كان يبحث عني، طيلة حياته السابقة، وقد عثر عليّ أخيراً ولن يدعني أفلت منه. إنه يريدني زوجة له وسيتفضّل ويدعني أفكر في الأمر. وأضاف بكل ثقة، إنه مستعد لأن يعطيني وقتي في التفكير ومشاورة الأهل. ما حكاية هذا الرجل المغرور؟ هل يظن أن الإعجاب من طرف واحد أو القرار من طرف واحد يمكن أن يسري عليّ؟ لاشكّ في أنه لا يعرفني بعد، لا أدري ما الذي جعلني أرتاح لطريقته المباشرة في عرض مشاعره، وثقته المفرطة بنفسه. لهذا، لم أردعه ولا قطعت عليه الطريق. إن فيه أشياء جذابة كثيرة لم أجدها في غيره ممّن تقدموا لي ورددتهم خائبين. وعندما سألت صديقتي دليلة عنها، ردّت بعبارات إيجابية وقالت عنه كل خير. مع هذا، واصلت تحفظي معه ولم أترك نفسي على هواها. إن الرجال لا يحبون البنات الخفيفات. وأنا لست متناقلة لكن الدلال يليق بي، ومن حقي أن أترك المتقدم لي يواصل السعي ويكرر الطلب، قبل أن أشير إليه بإشارة الإيجاب. وكان كلما ألحّ في الحصول على جوابي، بالغت في غموضي وتمنّعت عن الرد. وكان المسكين يذهب إلى دليلة ويسألها عن مزاجي، ويطلب منها أن تجسّ نبضي، ويشكو لها هيامه بي ورغبته في إنهاء القضية كما يرغب ويشتهي. لماذا عليّ أن أنصاع له بهذه السرعة؟؟ وماذا سيحدث لو انتظر شهرين وثلاثة؟ إن لعبة الكر والفر تروق لي وترفع من معنوياتي وتزيد من إحساسي بتفوقي. وهي ذكريات سنروها لأطفالنا، ذات يومٍ، ونضحك ونحن نستعيد كيف حفت قدما أبيهم وهو يجري وراء أمهم. ما هذا الذي أسمع؟ وأين ذهب هلال؟ وأين اختفت دليلة؟ لاشكّ في أن الحساد والحاسدات يحاولون إيدائي بالزعم أن خطيبي قد خطب صديقتي. أعرف أنه ليس خطيبي، بعد، لكنه في حكم الخطيب والكل يعرف أنه كان يفعل المستحيل لكي يفوز بي. هل يمكن أن يفعل بي، أنا، هذه الفعلة؟ هل يغدر بي ويطير منّي قبل أن أقبض عليه تماماً ويذهب ليحطّ على غصن من؟ أعز صديقاتي!! لست غبية لكي

أبكي عليه، على الرغم من أنَّ قلبي يؤلمني، لكنني لن أعيد درس المماثلة ثانية... لأنني لست غبية.